دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد 37، العدد 2، 2010

# أسطورة النسر والبحث عن الخلود في الشعر الجاهلي

*إحسان الديك**

## ملخص

النسر أكثر الطير حظوة باهتمام الإنسان الجاهلي، وأشدها ارتباطاً بهواجسه، أضفى عليه من الصفات، وربطه بأفكار رفعته من دائرة حيوانية إلى مكانة عليه أوصلته حد القداسة.

ويحاول البحث تلمس أسباب قداسة هذا الطائر، وسر علاقته بالخلود مثل قوته وعلاقته بالموت، ورفعته وسموه، وخصوبته وارتباطه بالحياة، ويتخذ من أسطورة لقمان التي بهتت معالمها وتحولت إلى حكاية، دليلاً على أسطرة هذا الطائر وصلته بالخلود.

**الكلمات الدالة:** شعر جاهلي، أسطورة.

## المقدمـــة

للطير في مخيال الشاعر الجاهلي حضور كبير، وله في ذهنه مكانة مكينة، وفي لا شعوره فسحة واسعة، وذلك لتميزه بحالة الطيران التي يفتقدها الانسان، والتي تؤكد عجزه وقصوره من جهة، وتدل من جهة أخرى على سرعة الطائر الفائقة، وقدرته العظيمة على الوصول إلى كل مكان عالٍ أو بعيد.

اتخذ الانسان الجاهلي من عالم الطير وسيلة للتعبير عن تجربته في الحياة، وصراعه من أجل البقاء، فغدا جزءاً من عقليته وعقيدته، ربط مصيره بمصيره، ونظر إليه نظرة أسطورية، فهو "في خوفه من الموت، وفي شنّه الحرب ضد أعدائه، وفي طلبه الثابت للخلود، وفي تفاؤله وتشاؤمه، كان يستذكر الطير، ويستدعي منه أحوالاً وصوراً مناسبة لكل مقام".(1)

ومن الطير جاء التطير الذي كان عقيدة عامة في العصر الجاهلي، ومنه توسعوا حتى صاروا يتطيرون ببعض الحيوان والناس، قال الجاحظ: "وأصل التطير من الطير إذا مر بارحاً أو سانحاً أو رآه يتفلى، حتى صاروا إذ عاينوا الأعور من الناس والبهائم، أو الأعضب أو الأبتر، زجروا عند ذلك، وتطيروا كما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال، فكان زجر الطير هو الأصل، ومنه اشتقوا التطير، ثم استعملوا ذلك في كل شيء"(2).

وكان لزجر الطير أهمية بالغة في حياة الجاهليين، "وربما انتهى بعض الزجر إلى حد الكهانة"(3) عندهم، ومنه نبعت ظاهرة التفاؤل والتشاؤم، وعليه قسموا الطير إلى قسمين: طير فأل، وطير شؤم.

ولقد أشار القرآن الكريم مراراً إلى هذه الظاهرة مما يدل على تمكنّها من نفوسهم، في مثل قوله تعالى: "إنا تطيرنا بكم"(4)، كما نهى الرسول الكريم عنها في قوله (ص): "من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك"(5)، مما يؤيد صلة هذه الظاهرة بعالم الغيبيات والقوى الخفية التي كانت تتحكم بمصائر الناس، وكانوا ينسبون كل مكروه إليها. ومما "يعزز الاعتقاد بأن أوصاف الطير وخصوصيته المشارة في الشعر الجاهلي، إن هي في الحقيقة إلا تعبير عن الإنسان الجاهلي في مواقفه الخاصة من الحياة والموت، وبهذا تصبح الألفاظ الخاصة بالطير في مواضعها من الشعر حبلى بالأفكار والمشاعر والرموز التي توحي بتلك المواقف" (6).

### أسطورة النسر

تتحقق أسطرة أي كائن، وتتجلى حقيقته الأسطورية، حين تتوافر فيه صفات القداسة، من خلال ارتباطه بالعلوي، واتصاله بزمن البدايات، وحين ينطوي في جوهره على منظور زماني يصل الطبيعي في دلالته بالثقافي، ويضفي عليه قداسته. فالأسطوري لا ينشأ "عندما يتحول الكون بمختلف قواه وعناصره إلى صور محددة تحديداً جيداً إلى صور إلهية أو شيطانية، ولا يظهر حقاً إلاّ في الوقت الذي تسند فيه تلك الصور ميلاداً وصيرورة وحياة في مجرى الزمان"(7).

---

* قسم اللغة العربية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين. تاريخ استلام البحث 2009/3/17، وتاريخ قبوله 2009/9/12.

© 2010 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

والنسر أكثر الطير حظوة باهتمام الإنسان الجاهلي، وأشدها ارتباطاً بهواجسه، أضفى عليه من الصفات، وربطه بأفكار نزعته من دائرة حيوانية، ورفعته إلى مكانة علية، أوصلته حد القداسة، ووصلته بالآلهة.

ولم يكن هذا التقديس مجرد مشاعر وعواطف وأحاسيس نابعة من أثر هذا الطائر في حياة الإنسان وحسب، باعتباره مثالاً للقوة، وعنواناً للرفعة والسمو، وإنما يرتد في جانب كبير منه إلى ماضٍ أسطوري موروث، كان فيه النسر إلها أو شبيها بالإله، يقترن بالجن، ويرتبط بالروح، ويتصل بالموت والخلود، ومعرفة الغيب والتنبؤ بالمجهول.

وحين نقلّب صفحات ما قبل التاريخ، نرى النسر ماثلاً في ثقافة (شتاك حيوك) النيوليتية رمزاً للأم الكبرى، "نجده في جميع معابدها، وقد ملأ جناحاه جدار المعبد المقابل لتمثال الإلهة، وهناك من الأدلة ما يشير إلى أن كاهناتها كن يلبسن أردية من ريش النسور، ويضعن أقنعة على هيئة رؤوس النسر خلال الطقوس وتقديم القرابين"(8)، وفي صفحات التاريخ يبقى النسر في بعض ثقافات عصور الكتابة رمزاً للإلهة الأم "كما هو الحال في مصر، حيث أظهرت الأعمال التشكيلية أحياناً الأم الكبرى برأس نسر، كما اعتقد المصريون قديماً بأن النسور كلها من جنس الإناث، وأنها تحبل بواسطة الريح"(9)، أما عند الآراميين، فقد ظهرت برأس لبؤة وبجسد نسر أو أنثاه الرخمة(10)، مما يدل على تداخل ذكورية النسر وأنوثته مع صورة الأسد في رمز هذه الأم، غير أن النسر-فيما بعد- ومعه الطيور الكاسرة أخذت ترمز للإله "الأب الذكر القوي الممثل بإله الهواء، وأصبحت الطيور الأليفة هي التي تدل على الإلهة الأم"(11)، ففي الأساطير الإغريقية يتجسد الإله زيوس بن كرونوس أبو الآلهة والناس في هيئة النسر الذي كان رمزاً له(12)، وفي حضارة وادي الرافدين القديمة يظهر إله الصاعقة (زو) بمخالب النسر وريشه(13)، واتخذه العرافون والكهنة وسيلة للفأل والتنبؤ بالغيب، واعتقدوا بأنه "إذا مر نسر من جانب الملك الأيمن إلى الأيسر، فإن الملك سوف ينتصر أينما ذهب ...وإذا أمسك نسر بسمكة أو طير، وحلق بها بعيداً، ثم افترسها أمام رجل، فإن الأخير سوف يتعرض لخسارة، وإذا أكل نسر حمامة فوق بيت رجل ثم ترك منها شيئاً فإن صاحب الدار سوف يزداد ثراء"(14).

وتؤكد أخبار الجاهليين ومروياتهم أن النسر أو نسرا كان من آلهتهم القديمة، عبدوه، واتخذوا له صنماً على صورة النسر، فهو أحد أصنام نوح عليه السلام التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله عز وجل: "ولاتذرن وداً ولا سواعا، ولا يغوث ويعوق ونسرا"(15) وهو صنم ذي الكلاع بأرض حمير(16)، وباسم هذا الإله تسمت بطون من حمير مثل: النسور(17)، وأهل النسور(18)، و(ذو النسور)(19)، ومنه أطلقوا على "اليمن متضمنة الشام ولبنان وفلسطين بلاد ذي نسور"(20). وكانت تلبية من نسك له-كما يقول ابن حبيب- "لبيك اللهم لبيك، إننا عبيد، وكلنا ميسرة عتّيد، وأنت ربنا الحميد، اردد إلينا ملكنا والصيد"(21) وكانوا يقدمون له القرابين، ويقسمون به وبالدماء التي تراق عليه، وقرنوه بالعزى كبرى آلهتهم، وإياه عنى عمرو بن الجن في قوله:

أما ودمـاء مائـرات تخالـهـا
على قنة العزى أو النسـر عندما
وما قدس الرهبان في كل هيكل
أبيل الأبيليين المسـيح بن مريما
لقد ذاق منّا عامـر يوم لعلـع
حساماً إذا ما هز بالكف صمما(22)

وكذلك العباس بن عبد المطلب في قوله مادحا الرسول (ص):

ثم هبطّت البلاد، لا بشـ ـ ـ ـر
أنت ولا مـضغـة ولا علق
بل نطفة تركب السـفين وقد
ألجم نسـراً وأهله الغرق(23)

ونسر مراد شاهد آخر على عبادة النسر وقداسته عندهم، وتقديم القرابين البشرية له، على غرار عروس النيل عند المصريين، والصبايا المنذورات اللواتي كن "يقدمن في احتفال ديني إلى التنين الأسطوري في معابد دامبوي إبان موسم البذار(24)، ذكر السيوطي أن قبيلة مراد "كانت تتعبد نسراً يأتيها في كل عام، فيضربون له خباء، ويقرعون بين فتياتهم، فأيتهن أصابتها القرعة أخرجوها إلى النسر، فأدخلوها الخباء معه، فيمزقها ويأكلها، ويؤتى بخمر فيشربه، ثم يخبرهم بما يصنعون في عامهم ويطير، ثم يأتيهم في عام قابل، فيصنعون به مثل ذلك"(25)، وصادف أن قدم له المراديون فتاة منهم أمها همدانية، ووافق ذلك قدوم خالها عمير بن خالد، فأخبرته أخته بما صنعت مراد، وأنشدته قولها:

أتثني مراد عامها عن فتاتهـا
وتهدي إلى نسر كريمة حاشد
تزفّ إليه كالعروس وخالهـا
فتى حي همدان عمير بن خالد
فإن تنم الخود التي فديت بنـا
فما ليل من تهدى لنسر براقد(26)

فدبر الهمداني مكيدة مكّنته من قتل النسر، ثم أخذ أخته وابنتها ورحل بهما في ليلته، وأنشأ يقول مفتخراً:

وما كان من نســـر هِجفّ قتلته
أرحتهم مـنـه وأطفأت ســنّة
له كل عام من نســاء مخايـر
تـزف إلـيه كالعروس وما لـه
فلما شـكته حـــرة حاشــدية
شددت له قوسي وفي الكفّ أسهم
فأرميه من تحت الدجى فاخْتللْته
بوادي حراض ما تغـــذ مراد
فإن باعدونا فالقلـــوب بعـاد
فتـــاة أنـاس كالبنيــة زاد
إليها سوى أكـل الفتــاة زاد
أبوها أبي والأم –بعد- سهـاد
مراعيس حرات النصال حداد
ودوني عن وجه الصباح سواد(27)

وأنشأت الفتاة تقول:

جزى الله خالي خير الجـزا
زففـت إليه زفـــاف العـروس
فيرميه خالي عن رقْبـــة
وأضحت مـراد لهـــا مأتـــم
بمتركه النسر زهقا صريعا
وكـــان بمثلي قديمـاً بلوعـا
بسهم فأنفذ منه الدسيعـــا
على النسر تذري عليه الدموعا(28)

فعظمت المصيبة على المراديين بقتل نسرهم، وكان هذا أول ما أهاج الحرب بين القبيلتين، واستمرت حتى حجر الإسلام بينهما.

كان شعار النسر شعار عرب جنوب الجزيرة العربية، نقشوا رسمه مع رسم الأسد على جدران قصورهم كما ذكر الهمداني في وصف قصر همدان، واستشهد بقول الشاعر:

وبكل ركـن رأس نسر طـائر
أو رأس ليث من نحاس يزأر(29)

ولم تقتصر عبادته على أهل اليمن، وإنما انتشرت في شمال الجزيرة العربية وقلبها، فكان من أصنام العرب الشماليين(30)؛ لورود اسمه في المصادر العبرية والسريانية، "ورد في التلمود اسم صنم عربي دعي (نشرا)، ويقصد به نسر ولا شك، وهو من أصنام العرب المعروفة(31)، حيث عثر المنقبون في أعالي الحجاز على أحجار عليها صورة النسر(32).

ولعل هذه الإشارات التي سقناها وما سنسوق منها، تنفي ما لاحظه ابن الكلبي عن عدم ذكر هذا الصنم في تسميات العرب وأشعارها حين قال: "واتخذت حمير نسراً، فعبدوه بأرض يقال لها مذحج، ولم أسمع حمير سمت به أحداً، ولم أسمع له ذكراً في أشعارها ولا أشعار أحد من العرب، وأظن ذلك كان لانتقال حمير أيام تبع عن عبادة الأصنام إلى اليهودية"(33)، وتنفي كذلك ما ذهب إليه عبد المعيد خان الذي أخذ عن ابن الكلبي وتابعه بقوله: "أما الأصنام مثل (يغوث) و(يعوق) و(نسر) و(يعبوب) و(يربوع)، فقد بينا أنها لم تعبد في بادية الحجاز، بل ما وجد أثر لها في حياة العرب الاجتماعية، إن هي إلا أسماء سموها"(34).

ومن مظاهر أسطورية هذا الطائر وقداسته عندهم، ارتباطه بالكائنات الغيبية، شأنه في ذلك شأن كثير من الطيور التي كان ينظر إلى قدرتها- من خلال اجنحتها- على الاتصال بين العالمين العلوي والأرضي، فكانوا يعتقدون" أن الجن تتراءى في صورة النسر"(35)، وذكر ابن كثير أن الطائرين اللذين هبطا على أمية بن أبي الصلت وقت احتضاره كانا نسرين، سقط أحدهما عليه فشق بطنه، وثبت الآخر في مكانه، فقال الأعلى: أوعى؟ قال: وعى، قال: أأقبل؟ قال: أبي، قال: خسئ، فرد قلبه وطار(36).

ومنها كذلك أنهم وصلوه بعالمهم العلوي الذي أسقطوا عليه عالمهم الأرضي، فنجد له حضوراً بين الكواكب التي ألّهوها وعبدوها، وتسموا بأسمائها، وقدموا لها الهدايا والقرابين، فمن النجوم المثناة النسران، وهما "كوكبان في السماء معروفان على التشبيه بالنسر الطائر، يقال لكل واحد منها نسر أو النسر، ويصفونهما فيقولون: النسر الواقع والنسر الطائر"(37)، وهما من ذوات القدر الأول في اللمعان، ضرب بهما المثل في التلازم والبقاء حتى قيل:" أبقى من النسرين ومن العصرين"(38)، تعلق بهما الشعراء الجاهليون وووصفوهما في أشعارهم، فقال الشماخ يصف مطيته:

كأنـها وقد تدلّـى النسـران
وضـمها من حمل طِـمِّران(39)

وقالت أميمة بنت عبد شمس في رثاء أخيها أبي سفيان:

ونجـم دونـه النسـريـن
بيـن الدلـو والعـقـرب(40)

وتمتد صلة النسر بالعلم العلوي، وتستمر في الحضور لتنسرب في التصور الإسلامي من خلال آراء المفسرين والمؤرخين وأهل الأخبار المستمدة من موروثات المنطقة الشفهية التي كانت متداولة تحت عنوان الإسرائيليات، فالملائكة كائنات روحانية نورانية لها أجنحة تطير بها حيث

طيرها الله عز وجل، وقد أشار إلى ذلك أمية بن أبي الصلت، وسماها تلامذة الإله في قوله:

وإذا تلامذة الإله تعـاونوا
نهضوا بأجنحة فلم يتواكلوا
غلبوا ونشّطهم جنـاح معتـد
لا مبطئ منهم ولا مستوغد(41)

وهي على صورة النسر خاصة، إذ ليس من ملائكة السماوات السبع التي ذكرها القزويني ما هو على هيئة الطير إلا ملائكة السماء الثالثة الذين هم على صورة النسر، واسم الملك الموكل بهم (صعد يائيل)(42). ويذكر الدميري أن الله عز وجل خلق ملكاً على صورة النسر موكلاً بأرزاق الطير(43).

وترتقي صورة النسر في الذهنية العربية أكثر وأكثر، لتأخذ مكاناً أعلى في العالم العلوي، ولتكون إحدى صور الملائكة الأربعة حملة العرش في نص فريد احتفظ به القزويني حين وصفهم بقوله: "فمنهم من هو على صورة النسر يشفع للطيور في أرزاقها، ومنهم من هو على صورة الثور، ومنهم من هو على صورة الأسد، ومنهم من هو على صورة البشر"(44)، وهذا ما عناه أمية ابن أبي الصلت في قوله:

رجل وثور تحت يمنى رجله
والنسر لليسرى وليث مرصِد(45)

ويرتبط ببداية الخلق ويستمع إلى كلام الملائكة، ويتحدث إلى الحوت محذراً إياه من الإنسان، "قال وهب بن منبه: لما أهبط الله آدم إلى الأرض نادى ملك: أيتها الأرض ومن عليها من الخلق، قد هبط إليكم إنسان نسي ربه فسماه الله إنساناً، فسمع النسر فانتفض إلى الحوت وأخبره بذلك، ففزعا، وقال كل واحد منهما لصاحبه، هذا الوداع بيني وبينك، فويل لأهل البر والبحر من الإنسان"(46).

## دوافع أسطورة النسر وصلتها بالخلود:

لم تتشكل أسطورة النسر في الفكر الإنساني من اللاشيء، وإنما نبعت من الهواجس التي كمنت في أعماق نفس الانسان القديم، ودفعت بالنسر إلى هذه المكانة من التقديس، باعتباره مثالاً ومثلاً أعلى، وتمثيلاً لرغبة، وتعويضاً عن مظاهر الشعور بالعجز التي اعتورت هذا الإنسان في أثناء نظرته للوجود، والوقوف أمام لغز الحياة المحير، فلم يستطع التحرر من ربقة الموت، والوصول إلى الخلود الأبدي الذي كان يراوده.

### 1. قوة النسر وعلاقته بالموت:

البقاء والفناء صنوان لا ينفصمان، ينسجان الوجود في مقابل العدم، وعلى قدر انشغال الإنسان بقضية الخلود كان انشغاله بقضية الموت، وبقدر أرقه في الحصول على الأولى، كان تأريق الثانية له، والتفكير في الهروب منها.

والنسر بقوته وعلاقته الوثيقة بالموت، كان من أوضح الأمثلة التي جذبت انتباه الإنسان الجاهلي في خضم بحثه عن الخلود والحياة الأبدية، فرأى فيه رمزاً للقوة المثالية التي يحتاج إليها في مجتمع حربي يقدس القوي ويحتقر الضعيف. فهو "أعظم سباع الطير وأقواها بدناً"(47)، ليس فيها أكبر جثة منه(48)، يقال له: أبو الطير(49)، وسيدها(50)، وملكها(51)، وهو من أحرارها وكرامها، وليس من بغاثها وشرارها، هجا دريد بن الصمة رجلاً كان يعاديه وشبهه ببيضة فاسدة لطير بغاث فقال:

وهل أنت إلا بيضة مات فرخها
حواها بغاث شر طير علمتهـا
ثوت في سلوخ الطير في بلد قفر
وشلّاء ليست من عقاب ولا نسر(52)

وقال تميم بن أبي بن مقبل:

شهدت فلم تحفظ لقومك عـورة
ولم تدر ما أم البغاث من النسر(53)

والنسر هو الرمز الأعلى، والحد الأقصى لقوة الضعيف، قالوا في المثل: "البغاث بأرضنا يستنسر"(54)، وهو "في المنام ملك، فمن رأى نسراً نازعه فإن سلطاناً يغضب عليه ويوكل به ظالماً ومن ملك نسراً أو تحكم عليه نال عزاً وسلطاناً ونصرة على أعدائه، وعاش عمراً طويلاً"(55)، وإذا "سقط على جيفة تباعدت عنه الطيور هيبة له حتى يفرغ من الأكل"(56).

وإخال أن الصورة التي ارتسمت للنسر في ذهن الإنسان الجاهلي هي صورة الملك بكل ما فيها "من قدرة وحزم وعظمة"(57)، وما يرتبط بها من قوة وهيبة وجاه، وهي صورة ممتوحة من أعماق اللاشعور الإنساني، تضرب بجذورها في عمق التاريخ، فقد رأينا كيف كان النسر رمزاً للإله الذكر القوي عند السومريين، وكيف كان رمزاً للإله زيوس عند اليونانيين، وكان شعار القوة والملك عند القدماء، وما يزال إلى يومنا هذا في كثير من الدول، وعند معظم الشعوب، فقد ورد أن كرسي عرش سليمان -عليه السلام- كان "محفوفاً بأربع نخلات يعلو اثنتين منها نسران ذهبيان"(58)، و"كانت ملوك العرب إذا ركبت في مواكبها

طيروا الشواهين فوق رؤوسهم، وكان ذلك عندهم هو الرتبة والعظمة"(59).

وليس غريباً ما ذهب إليه شوقي عبد الحكيم من أن لفظة (نصر) تحريف عن (نسر)(60)، ذلك أن النصر نتاج القوة والقدرة والعظمة التي مثلها النسر في الفكر القديم، وليس غريباً كذلك أن يجعل الشاعر الجاهلي من هذه الصورة المتجذرة في لا وعيه، الموصولة بعقيدته، أساً وأساساً للكثير من المعاني، وأن يتخذها مثالاً للعديد من النماذج التي تمتّ بصلة إلى قوته وتفوقه، وعظمته وتميزه، فلواء الجيش ورايات كتائبه تخفق في السماء مثل جناحه في قول ضرار الفهري:

جـردوا مشـرفيات مهنـدة
وراية كجناح النسر تختفق(61)

وسنان الرمح تارة مثل خرطومه في قول رجل من عبد القيس:

تركت الرمح يبرق فـي صلاه
كأن سنانه خرطوم نسر(62)

وتارة مثل قادمته في قول الخنساء:

بمقوم لدن الكُعوب سنانه
ذَربٍ الشباة كقادم النسر(63)

وذيل فرس أبي دؤاد الإيادي مثل قوادمه في قوله:

تلوي بذي خصل ضاف تشبهه
قوادما من نسور مضرحيات(64)

أما ذيل ناقة طرفة بن العبد فيشبه جناحيه، يقول:

تريع إلى صوت المهيب، وتتقي
كأن جناحي مضـرحي تكنّفـا
بذي خضل، روعات أكـاف ملبد
حِفافَيه شُكّا في العسيب بمسرد(65)

ويختار الشنفري الأزدي ريشه كسوة لسهمه الأزرق ليدال على سرعته فيقول:

عليه نسـاري على خوط نبعة
وفوق كعرقوب القطاة مدحرج(66)

ويشبّه ساعدة بن جؤية صياح فرسه مثل صياحه في قوله:

وسرحب نـره دام وصـفحته
يصيح مثل صياح النسر منتحم(67)

بل إن صياح الخيول الأصيلة، وكذلك صياح فرسانها الشجعان في ساحة الوغى شبيهان بصياح النسور رمز القوة والشجاعة والإقدام كما في قوله جريبة بن الأشيم الفقعسي يصف خيله:

إذا الخيل صاحت صياح النسور
خرزنا شـراسيفها بالجـِذَم(68)

وسقوط الفارس في أرض المعركة خاراً على الأرض يشبه سقوط النسر القشيب من السماء في قول أبي خراش الهذلي الذي يصف فيه سيفه حين يصرع الكماة:

بـه أدع الكمـي على يديه
يخر تخاله نسراً قشيبا(69)

قوة هذا الطائر هي التي جعلته من عتاق الطير وكرامها، وخلقت منه رمزاً لامتلاك القدرة على الحياة، وقرنته بالملك القادر ظل الإله بله الإله نفسه عند كثير من الشعوب، الذي ضرب به المثل في عدم القدرة على الخلود والنجاة من الموت، وقوة هذا الطائر هي التي وصلته أيضا بالروح المؤثرة في الأحياء، وتحولها إلى طائر في كل المعتقدات القديمة.

ومثلما تمثّلت هذه القوة في القدرة على مقاومة الموت، تمثلت كذلك في صنع الموت نفسه وإيقاعه بالبشر، فالقادر على صنع الموت هو القادر على منح الحياة، لذا اتخذت البطولة سبيلاً للبقاء في الحياة، وطريقاً لخلود الذكر بعد الممات.

ولقد ارتبط النسر بالموت عند معظم الشعوب القديمة، فكان في العصر النيوليتي رمزاً للأم الكبرى سيدة الموت، "ففي مستوطنة شتاك حيوك، كان النسر ذلك الطائر الذي يعيش على جثث الموتى رمزاً للأم الكبرى في وجهها الأسود، وكانت معابد المستوطنة ملأى بالرسوم الجدارية التي تمثل نسوراً عملاقة منقضة على جثث الموتى"(70).

واستدل علماء الآثار من تلك المشاهد أن أصحابها كانوا يمارسون طقس الموت، بوضع الجثث على مصاطب عالية تأتيها النسور، فتلتهم لحمها، ثم تؤخذ الهياكل العظمية فتدفن في المنازل تحت مصاطب النوم والجلوس، وذهب بعضهم إلى أن هذه المشاهد تمثيل لأسطورة ما بعد الموت، وأن النسور تتلقى الموتى بعد عبورهم إلى العالم الآخر، كما وجد المنقّبون في هذه المستوطنة مناقير النسور مدفونة في الأثداء الأنثوية المشكّلة من الصلصال(71).

وفي الأساطير البابلية تمثّل (أنكيدو) الموت في هيئة طائر رهيب شبيه بالنسر، قال مخاطباً جلجامش ومخبراً إياه عن رؤياه:

"ظهر أمامي شخص مكفهر الوجه
كان وجهه مثل وجه طير الصاعقة (زو)
ومخالبه كأظافر النسر
لقد عراني من لباسي
وأمسك بمخالبه
وأخذ بخناقي حتى خمدت أنفاسي"(72).

وفي أسطورة (أقهت) الكنعانية، يتحول الإله القاتل (ياتبان) إلى نسر، كي يتمكن من الطيران فوق (أقهت)، ويطرحه أرضا، ويأخذ القوس إلى (عنّاة)، وترى (بوغات) أخت أقهت النسور على عتبة الباب نذير شؤم ودليلاً على موت أخيها(73)، أما (دنئل) والده، فيضرع إلى بعل أن ينزل النسور المتجهة إلى الشمس تحت قدميه ليمزقّها، ويعرف إن كان لحم أقهت وعظامه فيها، لكنه لم يعثر في قوانصها على شيء، فأعادها بعل إلى الحياة، ثم أنزل (هرجب) والد النسور، وكانت النتيجة نفسها، ثم أنزل (سمل) أم النسور، وعندما شقها دنئل وجد لحم أقهت وعظامه فيها، فدفنها في قبر مظلم(74).

وفي الأساطير اليونانية يعاقب (زيوس) (برموثيوس) الذي أنزل النار إلى الأرض، بأن أوثقه بسلاسل قوية من الحديد على جبل (كوكازوس)، وأرسل إليه نسراً ضخماً كان يأتيه كل صباح ينقر جسده، ويأكل كبده، وفي المساء ينمو كبده وتلتئم جراحه(75).

لا غرابة -انسجاما مع هذا الماضي المقدس وهذا الموروث الانساني- أن يرتبط النسر بالموت عند العرب، كما عند الشعوب القديمة الأخرى، وأن يكون طير الصاعقة (زو) عند البابليين هو نفسه طير المنية عند الجاهليين في قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

وعيسٍ فوقها طـيـر المنايــا
ومعضلة تحـف بهـا جليلـة(76)

وأن تنسب العقاب –التي أطلقوا عليها اسم (النسارية) تشبيها لها بالنسر- إلى الموت نفسه في قول ربيعة بن طريف التميمي:

وظلت عقاب الموت تهفو عليهم
وشعث النواصي لُجمهن تصلصل(77)

وقول كليب بن ربيعة:

أمامهم عقـاب المـوت تهـوي
هوي الدلو أسـ ـلمها العراقي(78)

وأن يكون وقوع النسور على تأبط شراً تمثيلاً لوقع الموت نفسه في قوله:

وإن تقع النسـور علي يوما
فلحم المعتفي لحم كريـم(79)

وأن تمثّل النجاة من الموت بنجاة لحم الإنسان من طيور الموت نفسه في قول بشر بن أبي خازم الأسدي مادحاً أوس بن حارثة بن لأم حين من عليه وأطلق سراحه:

تداركت لحمي بعدما حلقت بـ ـه
مع النسر فتخاء الجناح قبـوض(80)

وتجلّت علاقة النسر بالموت عندهم –لغة وتصويراً- أكثر ما تجلّت في الحرب التي تعني حياة للمنتصر وموتاً للمهزوم، حين يشتبكان دلالة في (أم قشعم) التي هي أنثى النسر، وهي الحرب والمنية والداهية، وكأنهم عقدوا صلة بين الحرب الأنثى العوان التي جربت، وقوتل فيها مرة بعد مرة، وتشترك مع ربة الحرب وإلهة الموت الكنعانية (عنّاة) نطقا في قول زهير بن أبي سلمى:

إذا لقحـت حـرب عوان مضـرة
ضروس تهر الناس أنيابها العصل (81)

وبين القشعم أو القشعمان، وهو الذكر العظيم المسن من النسور في قول عنترة:

من الجو أسراب النسور القشاعم(82)
تقلبه وحش الفـلا وتنوشـــه

وقول عبد المسيح بن عسلة:

إلى الحول منها والنسور القشاعما(83)
لعمري لأشـ ـبعنا ضبـاع عنيزة

وقول المهلهل بن ربيعة:

عليه القُشـعمان من النسـور(84)
وهـام بـن مرة قد تركـنـا

وقول الآخر مستخدما عجز البيت نفسه:

تركت أباك قـ ـد أطلى ومالت
عليه القشـعمان من النسـور(85)

وكأن أم القشعم/ أنثى النسر/ الحرب، هي المولدة للموت، وكلّما جربت وامتد بها الزمن وأسنّت، زاد فعل موتها ودمارها، وكأن القشعم/ النسر/الموت نُسب إليها، أو به تكنت، ولعل هذا نابع من التصور القديم الذي أشرت إليه، فنرى الشعراء يفخرون بقدرتهم على إسهامهم في حدث الموت، فيصفون جثث القتلى وكأنها قرى وقرابين يقدمونها للنسور آلهة الموت كما في قول عنترة:

ولـكن يضربون الجيش ضربـاً
ويـقرون النسـور بلا جفـان(86)

ويصورون هذه الطيور وهي تتقبل قرابينها في طقوس من الرقص والحجل، فرحة بما قُدم إليها، لاهية بالموت الإنساني، قال المهلهل بن ربيعة:

قتلى تعاورها النسور أكفهـا
ينهشنها وحواجل الغربان(87)

وقالت جنوب الهندلية:
تمشي النسور إليه وهي لاهيـة
مشي العذارى عليهن الجلابيب(88)

تكاد تكون صورة تعقب النسر للجيش "وتتبعه للعساكر بانتظار القتلى ليقع عليهم من أبرز هذه الإشارات، واعتقد البعض أن الجيش الذي لم تحم عليه النسور لا يدخل في معركة ولا ينتصر في قتال"(89)، وهذا يرجح ما ذهب إليه شوقي عبد الحكيم وذكرناه من قبل، وهو أن لفظة نصر محرفّة عن نسر، يؤكد ذلك أبيات النابغة الذبياني التي وصف فيها جيش عمرو بن الحارث الغساني، والنسور الدموية تسير خلفه، واثقة بنصره، جالسة جلوس الشيوخ المهيبة بانتظار الطعام الذي سيقدم إليها من جثث الأعداء، يقول:

إذا ما غزا في الجيش حلّق فوقهم
عصائب طـيـر تهتدي بعصائب
يصاحبنهم حتى يغِرن مغارهـ ـم
من الضاريات بالدمـاء الدوارب
تراهن خلف القوم خزراً عيونهـا
جلوس الشيوخ في ثياب المرانـب
جـوانح قـد أيقن أن قـبـيلـه
إذل ما التقى الجمعان أول غالب(90)

واحتلت ظاهرة عكوف النسور على جثث القتلى بعد تركها ساح القتال مساحة واسعة من مخيال الشاعر الجاهلي، فنراها تشترك مع الذئاب والسباع والضباع في تخطّف لحوم القتلى، ونهشها، والتهام ما طاب لها منها، قال عامر بن الطفيل يصف قتلى ذبيان:

وتركت جمعهم بلابة ضرغـد
جزر السباع وكل نسر أهدب(91)

وقال عنترة بن شداد:
إن يفعلا فلقد تركت أباهمـ ـ ـا
جزر السباع وكل نسر قشعم(92)

وقال أيضاً:
كم فارس غادرت يأكـل لحـمه
ضاري الذئاب وكاسرات الأنسر(93)

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:
وكم من جمع قوم قـد تركنـا
ضباع الجو فيهـا والنسور(94)

وقالد دريد بن الصمة:
فـإن تـقتلوا فتيـة أفـردوا
أصابهـم الحين أو تـظفروا
فـإن حـزاماً لـدى معـركٍ
وأخوتُهـم حولهم أنُسـُر(95)

وقال النابغة الجعدي يصف قتيلاً:
تـوهن فيـه المضرحية بعـدما
روين نجيعاً من دم الجوف أحمرا(96)

وكأن النسور وبقية السباع تمعن في فعل الموت، وتكمل مهمة الفارس، بعد سلبه روح القتيل بإخفاء لحمه في بطونها- كما فعلت بجثة أقهت الكنعاني- حتى لا يتمكن أهله وقومه من دفن جثته، لتبقى روحه قلقة هائمة في العراء لا تعرف الاستقرار، وقد ساورهم هذا الخوف، واستقر في لاوعيهم، وعبر عنه الشنفري الأزدي بعناد وتكبر في قوله:

لا تقبرونـي إن قبـري محرم
عليكم ولكن أبشري أم عامر(97)

ولقد كان الحرمان من الدفن من أقسى العقوبات في القوانين البابلية والأشورية للخارجين على أنظمة الحكم وتقاليد المجتمع(98).

## 2- العلو والسمو:

ظل العالم العلوي (عالم السماء) أسمى عوالم الكون، وأكثرها عظمة في فكر الانسان، فهو العالي المتعالي المترفع على البشر، إليه تتجه عيونهم، ونحوه ترتفع أيديهم، وبه تتعلق أفئدتهم، هو منبع الخلود، ومبعث النور، وموطن الآلهة وأنصافها (الملائكة)، وهو رمز القداسة واللاتناهي والرفعة والسمو.

ولقد اكتسب النسر من خلال قدرته الفائقة على الطيران، والتحليق الدائم في السماء، والوصول إلى الأماكن البعيدة بعضاً من سمات هذا العالم، ومظاهر قداسته، وخلع عليه البشر صفات وقدرات خارقة تنتمي- في معظمها- إلى هذا العالم. فهو "سيد الطيور، يعمر طويلاً، وقيل إنه يعيش ألف سنة، وله قوة على الطيران حتي قيل إنه يقطع من المشرق إلى المغرب في يوم. وجثته عظيمة حتى قيل إنه يحمل أبناء الفيلة، وله قوة حاسة الشم، حتى قيل إنه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ، وإذا سقط على جيفة تباعدت عنه الطيور هيبة له، حتى يفرغ من الأكل"(99)، وإذا جعل قلبه في "جلد ذئب، وعلق على إنسان كان محبوباً مهابا، مقضي الحاجة عند السلطان، ولا يضره سبع أبداً"(100).

النسر هو القادر على ارتقاء السماء، والإبتعاد عن عالم

الفناء الأرضي، والاقتراب من عالم الآلهة، وكأنه باقترابه هذا امتلك الحياة والبقاء، وهذا ما عجز الإنسان عن تحقيقه في بحثه الدائم عن الخلود، وقد ظهر عجزه وخيبة أمله في هذا الخطاب الذي وجهه جلجامش إلى صديقه أنكيدو بقوله:

"يا صديقي من يستطيع أن يرقى إلى السماء
فالآلهة وحدهم هم الذين يعيشون إلى الأبد مع (شمش)
أما البشر فأيامهم معدودات"(101)

والنسر حلقة الوصل بين هذين العالمين، كان وسيلة النمرود الجبار في الوصول إلى السماء حينما حاج إبراهيم عليه السلام في ربه، فقال: "إن كان ما يقوله إبراهيم حقاً فلا أنتهي حتى أصعد إلى السماء فأعلم ما فيها"(102) وهو الذي حمل الملك (ايتانا) على جناحيه، وطار به إلى أعالي عرش عشتار في السماء لينال نبتة النسل(103) التي تمثل الوجه الآخر لخلود النفس بخلود الجنس.

ومن مظاهر قدرة النسر ورفعته وسموه، ارتباطه بالجبل رمز المنعة والخلود، ونقطة التلاقي بين السماء والأرض، ومركز الطاقات الروحية والأسرار الغيبية، منه نشأ الخلق الأول، وفيه تمت عملية التكوين، وعليه ولدت الآلهة وعاشت وماتت، وأقيمت المعابد والهياكل والزيقورات، وصعد إليه العرافون والأنبياء والكهنة.

وفي طبيعة حياة النسر ما يدل على علاقته الوثيقة بالجبل، وارتباطه به، فقد اتخذ من قمم الجبال بيوتاً ومقرات، ومن قللها مراقب وأماكن انقضاض، فيها يبيض بيضه ولا يحضنه "ويبقيه في الشمس فتكون حرارتها بمنزلة الحضن"(104)، ولا تصل إليه يد أحد، وقد أعجب الشاعر الجاهلي بهذه القدرة التي ترمز إلى الرفعة والعلو، فقال عدي بن زيد العبادي:

فـوق عليـاء لا يرام ذراهـا
يلغب النسر فوقها والأنـوق(105)

وقال ساعدة بن جوية يصف ريق محبوبته:

أري الجوارس في ذؤابة مشرف
فيه النسور كما تحبي الموكب(106)

وقال آخر يشبه ما تراكب من السحاب بالجبال التي عليها النسور:

بمنتصر غر النشاص كأنـها
جبال عليهن النسور قشـوع(107)

وعكست اللغة وثاقة العلاقة وعمق الارتباط بين النسر والجبل حيث سمت العرب، واشتقت من اسم النسر أسماء بعض جبالهم وأماكنهم، ف "النسر بفتح أوله، وإسكان ثانيه على لفظ اسم الطائر موضع بديار بني سليم وعنده لهم ماء، يقال له الظبي، قال مزرد:

وقال امرؤ فوه من الجوع عاصب
ألم تسمعا نبحاً برابية النسر"(108)

والنسار جبال صغار برسم ضرية، شبهت بأنسر واقعة، عندها أوقعت طيء وأسد وغطفان ببني عامر بن تميم، وفيها قال بشر بن أبي خازم الأسدي:

غـضبت تـميم أن نقتـل عامـر
يوم النسار فأعقبـوا بالصيـلم(109)

وذكر البكري من أسماء الجبال: النسر الأبيض، والنسر الأسود، والنسير، والأنسر(110).

وتتضح علاقة المقدس/ النسر، بالمقدس/ الجبل أكثر ما تتضح في دلالتهما المشتركة على الخلود، واتصالهما به في أسطورة لقمان بن عاد وأنسره السبعة، حين اختار لقمان عمر سبعة نسور، وهو بجبل أبي قبيس، وحين ناداه مناد في كل مرة أن يأخذ فرخ كلّ منها من قمة جبل، وكذلك في رسو سفينة (أوتا نبشتم) نوح السومري الذي منح الخلود ونجا من الطوفان على جبل نسر(111).

### 3- الخصوبة والحياة:

أدرك الإنسان القديم أن فكرة الخصوبة هي جوهر حياته، وسر بقائه، فعلى خصب الطبيعة يعيش ويضمن البقاء، ومن خلال خصبه وتكاثره يبقى جنسه، ويتغلب على مشكلة الموت والفناء، فصارت هذه الفكرة عنده عقيدة، ومرتكزاً أساسياً من مرتكزات دينه، شكّلها في مرحلة الأمومة البشرية في إلهة أنثى مثّلتها إنانا/ عشتار، وفي مرحلة الذكورة البشرية في إله ذكر مثّله دموزي/ تموز.

ولقد عني هذا الانسان في خطابه الأسطوري، ونقوشه ورسومه بإبراز هذا الجانب في آلهته، وحرص على توضيح أثرها في صنع الخصب في البشر والطبيعة سواء بسواء، واكتسب النسر من خلال قدرته وقداسته، وقوته وسيادته، وعلوه وسموه، طاقات آلهة الخصب، وقدرات إلهاته، يؤيد ذلك ما ذكرناه من قبل عن تداخل ذكورية النسر وأنوثته في رمزيته للأم الكبرى.

كان النسر من أهم المظاهر التي شده بها الإنسان الجاهلي، وجذبت انتباهه في أثناء تفكيره في البقاء ونزوعه نحو الخلود، فخصه بطول العمر، فهو أطول الطير عمراً، يعمر ألف سنة(112)، وجعله أطول عمراً من الحية(113) صنو الحياة، وضرب به المثل فقال: "أعمر من نسر" و"أتى الأبد على لبد"(114)، واعتبره الشاهد على فنائه، والمحذر له من الموت لأنه "يقول في صياحه يا بن آدم عش ما شئت فإنك ميت"(115).

وكما كانت خصوبة دموزي الجنسية جوهر قوته الخلاقة، ومصدر مطلق خصوبته، كذلك امتلك النسر هذه الخصوبة في جسده، وغدت وسيلة للقوة الجنسية والإخصاب وييسر الولادة عند البشر، فاذا " شويت كبده واحترقت وشربت، نفعت للباه منفعة عظيمة، وإن أخذ بيضه، وضرب بعضه ببعض حتى يختلط، ويمسح به الإحليل ثلاثة أيام قوي قوة عجيبة"(116)، واذا عسر على المرأة الوضع وجعل تحتها من ريشه يسهل وضعها"(117)، ولعل لهذا الطقس علاقة بطقس كاهنات عشتار اللواتي كن يلبسن ريشه كما أشرت من قبل. ورأينا كيف كان النسر وسيلة الملك (إيتانا) للحصول على نبتة النسل من عرش عشتار، ونراه يتوجه للإله (شاماش) بقوله: "أواه يا سيدي، ليتها تصدر عن فمك أنت، هبني نبتة الولادة، أرني نبتة الولادة، لتزح عني أثقالي، ولتتدبر لي من يحمل اسمي"(118)، ثم يأمره الإله بأن يعبر الجبل، وهناك سيجد حفرة في داخلها نسر سجين، عليه تحريره ليقوده إلى تلك النبتة.

وللنسر علاقة وثيقة بخصب الطبيعة، ومن مظاهر ذلك صلته الوثيقة بالماء إكسير الحياة، فهو يشارك الإله بعل في علاقته بالرعود والعواصف والأمطار، ففي لوحة عاصفة المطر السومرية (أمد وجود) التي تحمل الخير وتنهي الجفاف، يظهر "النسر برأس أسد ينشر جناحيه عبر السماء في السحب الداكنة"(119)، وقريب من هذه الصورة، ما ذكره الدميري عن تصور العرب للأرض بعد الطوفان حيث "كانت صورة المعمور منها عندهم على شكل طائر رأسه المشرق، وذنبه المغرب، وجناحاه الشمال والجنوب، وبطنه ما بينهما"(120).

ويقترن النسر بإله الخصب الحثّي (تيليبينوس)/ تموز البابلي أو بعل الكنعاني، ويكون سبباً في عودته إلى الحياة مرة أخرى، بعدما اختفى واختفت معه مظاهر الحياة، حيث يرسل الإله الشمس النسر السريع للبحث عن هذا الإله الغائب، وحينما يعثر عليه يقول (شمس): "احضروا الإنسان ليأخذ نبع جاثارا في جبل عمونا، فليجعله يتحرك! بجناحي النسر فليجعله يتحرك... فيعود تيليبيونوس حاملاً جناح النسر تصحبه الرعود والبروق"(121)، تلتقي في هذه الأسطورة ثلاثة عناصر مقدسة هي الإله والنسر والمطر، ترتبط بالخلود، وتدلل على الحياة، تصل السماوي بالأرضي والعلوي بالسفلي حين يعود الإله في هيئة النسر أو على جناحيه حاملاً معه أو عليهما تباشير الحيا ليبعث الحياة في الأرض.

وفي أسطورة ذي القرنين وبحثه عن الخلود، نجد النسور حاضرة على صخرة الخلود التي رقي عليها الخضر إلى السماء، وشرب من نبع ماء الحياة، ويعجب ذو القرنين من تعلّقها في ذلك الموضع، ويخبره الخضر بشأنها العظيم ونبئها الجسيم، فهي التي بعثها الله عز وجل، فأكلت لحم وليه (جرجير بن عويم)، واحتفظت به في حواصلها، ونقلته، وتقيأته على هذه الصخرة ليبقى إلى يوم القيامة مطهراً من نجاسات المشركين، بعد أن قتله أهل المغرب، حينما أرسله إبراهيم عليه السلام داعياً لهم إلى الله(122).

## أنسر لقمان والبحث عن الخلود:

ليس غريباً بعد كل ماتقدم، وما احتفظت به الذاكرة الإنسانية من موروث فكري عن النسر، أن يتخذ هذا الطائر- وهو الذي ضرب به المثل بطول العمر- مثالاً للعجز عن إدراك الخلود في الذهنية الجاهلية، وأن يكون وسيلة لتخفيف هول الصدمة التي كانت تنتاب الشعراء لحظة وقوع الموت، وليس غريباً أن يكون جوهر أسطورة نشدان الخلود الجاهلية التي بهتت معالمها، وتفتت أجزاؤها، وبقيت آثارها في قصة لقمان وأنسره السبعة، التي التقى فيها لقمان النبي غير المرسل/ المقدس، بالنسر المقدس، وقداسة المكان/ مكة، والماء/ الاستسقاء، والجبال/ الخلود.

كان لقمان بن عاد شخصية أسطورية خارقة، خارجة عن المألوف، فقد أعطاه الله ما لم يعط غيره من الناس في زمانه، أعطاه حاسة مائة رجل، وكان طويلاً لا يقاربه اهل زمانه، وكان عامة من العلماء يقولون عنه إنه نبي غير مرسل، وسمته حمير بالرائش- لاحظ علاقة ذلك بريش النسر- وكان مثل جلجامش مشغولاً بطول العمر وهاجس الخلود، يدعو ربه – مراراً وتكراراً - وقبل كل صلاة فيقول:

"اللهم يا رب البحار الخضـر
والأرض ذات النبت بعد القطر
أسألك عمراً فوق كل عمر

فنودي أن أجيبت دعوتك، وأعطيت سؤلك، ولا سبيل إلى الخلود، واختر إن شئت بقاء سبع بقرات عفر في جبل وعر، لا يمسسهن ذعر، وإن شئت بقاء سبع نوايات من تمر مستودعات في صخر لا يمسسهن ندى ولا قطر، وإن شئت بقاء سبعة أنسر، كلما هلك نسر عقب بعده نسر، فكان ذلك أنه اختار سبعة أنسر"(123).

لقد وضع الهاتف لقمان أمام خيارات ثلاثة يبقى ببقائها، فاختار آخرها لارتباط النسر في ذاكرته بطول العمر، وامتداد الحياة، وكان صوت الهاتف واضحا حاسما: أن لا سبيل لخلود البشر، ولا مهرب لهم من الموت، وهذا ما أدركه جلجامش من قبل، بعد أن فتح مجازات الجبال، وجاب جهات

العالم الأربع، وعبر المحيط، فقال بعد موت أنكيدو:

"آه، لقد غدا صاحبي الذي أحببت ترابا
وأنا سأضجع مثله، فلا أقوم أبد الآبدين"(124)

وأكدت له هذه الحقيقة صاحبة الحانة حين قالت له:

"إلى أين تسعى يا جلجامش
إن الحياة التي تبغي لن تجد
حينما خلقت الآلهة العظام البشر
قدرت الموت على البشرية
واستأثرت هي بالحياة"(125)

وتتحدث الأسطورة عن تعلق لقمان بأنسره، وكيف كان يأمره الهاتف في كل مرة أن يصعد إلى وكر النسر في رأس الجبل، ليجد بيضتين قد تفلقتا عن فرخين، فيختار الذكر منهما، ويعقد في رجله سيراً ليعرفه، ثم يأخذه فيطعمه حتى ينهض طائراً، ويعيش مئة أو خمسمائة سنة إلا لبد الأخير الذي طال عمره حتى قيل إنه عاش ألف سنة، وبذا وصل عمر لقمان إلى أربعة آلاف سنة(126)، وكان لقمان حينما يأخذ الفرخ يسميه اسماً، ويناجيه نثراً، وحينما يموت يرثيه ويبكي نفسه شعراً، يعبر في الحال الأولى عن رغبته في البقاء، وتشبثه بالحياة، وفي الحال الثانية عن خوفه من الموت وبأسه، وأسفه واستحالة خلوده.

سمى النسر الأول (المصون)، وقال حين لقيه "المصون الخالص المكنون....والباقي بعد الحصون إلى آخر الدهر الخؤون"(127)، وحين بضعه بضعة غص بها وخر ميتاً قال أبياتاً منها:

موت المصون دل على أنّا
نذوق الحمام حقا يقينا(128)

وسمى الثاني (عوضا)، وقال فيه: "أنت العوض المبرأ من تلف العرض، وآفات المرض، وتعواج الجرض، وحقك علي أفضل مفترض"(129)، وحين مات أنشأ يقول:

مالي صبر عن المصون وقد
عوضت من بعـده عوضـا
فارقهما الموت من حمامهما
وأخلفا ما رجوت فانقرضا(130)

وسمى الثالث (خلفا)، وخاطبه بقوله: "أنت الخلف كما وصفك من وصف، احترازاً من التلف، وأبقى مما قد سلف، ولك عندي أفضل النصف"(131)، وقال بعد أن مات بسوق عكاظ بينما كان الناس يقلبونه وينظرون إليه:

عليك أبكى إذ صرت نصب الردى
ولسـت أبكي بعبرتي خلفـا
أيـقـنت أن النفـوس لاحـقـة
لا شك في ذلكم بمن سلفـا(132)

وسمى الرابع (مغيبا)، وقال فيه "أنت المغيب كما سماك من لا يكذب، عيشك معي العيش المخصب، ويزاح عنك المكر المخرب، وأنا عليك حدب، وفي بقائك مرتقب، فكن أبقى ممن ذهب"(133)، وقال حين مات:

لا مغيـب كاسمه فيـا عتـب
بل زاد قلبـي أقراحه ندبـا(134)

وسمى الخامس (ميسره)، وقال: "أنت الميسر الباقي، المحبب إليك اليسر، إنك النسر الباقي بقاء الدهر"(135)، وأنشد بعد موته:

رجوت بأن أبقي وعمر ميسـر
ففـات وأودى مفـرد إلى ميسر
فصرت أرجي واحداً بعد واحد
نسور وهل تبقي على الدهر أنسر(136)

وسمى السادس (أنسا)، وقاله له: "أنت الأنس من روعات الدحس، والدهر غير التعس، وحياتك ببقاء النفس"(137)، وحين مات ذهب عقله وبكى نفسه، فقال:

أمرضني سادس النسور وقد
جـدد حزناً وكان قـد درسا
سميته لـي لوحشتي أنسـا
أودى لعمري ولم يدم أنسا(138)

وسمى السابع (لبدا) أي الدهر، وقال فيه: "أنت لبد، الباقي المخلد إلى آخر الأبد، عيشك معي رغد، ويزاح عنك النكد، ويوفق لك الرشد، وعمرك لا ينفد"(139)، وحينما رآه لا يقدر أن يطير، أقبل عليه فزعاً مرعوباً، فقال: "انهض لبد، أنت الأبد، لا يقطع بي الأمد، نهضاً شدد"(140)، فلم يطق لبد على النهوض، وتفسخ ريشه، فهال ذلك لقمان، وأنشأ يبكي نفسه ويقول:

موتي أتى أموت اليـوم يا لبـد
وحسرتي أني قد تصـرم الأبد
فطر كمـا كنت سـالماً لبـداً
تحيا ونحيا معـاً ونحتفـد(141)

وبغض النظر عن صحة أقوال لقمان، وأشعاره هذه، فلا يهمنا إن قالها هو، أو وضعها الجاهليون، أو ألّفها عبيد بن شريه نفسه، وإنما الذي يهمنا حضور هذه الأسطورة في لا وعي العرب من خلال تعبيرها -مثل ملحمة جلجامش- عن حكاية الإنسان في قلقه الدائم من الموت، وبحثه الدائب عن الخلود الذي يراود عقله، ويخامر فكره، وحضورها في وعيه، من خلال ورودها على السنة السمار ورواة الأخبار،

وتكرارها في الأمثال، ودورانها في الأشعار، فقد أفاد الشعراء الجاهليون من هذه الأسطورة، ووظفوها في أشعارهم، وتفاوتوا في طريقة إيرادها، والغرض من ورائها، فهناك من أشار إليها إشارة عابرة، معتمداً على استذكار السابقين لها، ومعرفتهم بتفاصيلها، وهناك من فصل وأطال القص، وجعلها جزءاً من نسيج النص.

ويلاحظ أن توظيف هذه الأسطورة أو بعض موتيفاتها جاء في سياق أحاديث الشعراء عن غوائل الموت، ونوازل الدهر، ورغبتهم في الحياة، وعجزهم عن البقاء، قال ابن رشيق: "ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال بالملوك الأعزة والأمم السالفة، والوعول الممتنعة في قلال الجبال، والأسود الخادرة في الغياض، وبحمر الوحش المتصرفة بين القفار، والنسور والعقبان والحيات، لبأسها وطول أعمارها، وذلك في أشعارهم كثير موجود، لا يكاد يخلو منه شعر"(142).

فيشير زهير بن أبي سلمى إلى هلاك لقمان بطل أسطورة الخلود الجاهلية، مقرونا بغيره من السابقين الممنّعين أمثال تبع الحميري، وعاديا اليهودي، ضارباً بهم المثل على الفناء، واستحالة الخلود، يقول:

ألا لا أرى على الحوادث باقيـا
ولا خالداً إلا الجبال الرواسيـا
ألـم تـر أن الله أهـلك تبعـا
وأهلك لقمان بن عاد وعاديا(143)

ويتحدث تيم اللات عن هلاك الأنسر التي ارتبط بقاء لقمان ببقائها، في سياق تحذيره من الدهر الخؤون الأكول الذي يقضي حقه بالموت، يقول:

رأيت الفتى ينسى من الدهر حقه
حذار لريب الدهر والدهر آكلـه
ولو عاش ما عاشت للقمان أنسر
لصرف الليالي بعد ذلك يأكله(144)

أما طرفة بن العبد فيؤكد خلّبية الخلود، ويستشهد على حساب الأيام العسير بهلاك لقمان ونسوره، وغيابه بعد تتابع غيابها، يقول:

فكيف يرجى المرء دهراً مخلدا
وأيامـه عمـا قليل تحاسـبه
ألـم تر لقمان بن عاد تتابعت
عليه النسور ثم غابت كواكبه(145)

ويقول العباس بن مرداس:

ومـلّك لقمـان الحـياة فردهـا
إلـى ناهض حر قوائمه نهـد(146)

ويحضر لُبد جماع نسور الأسطورة وأكثرها شهرة، وأطولها عمراً مثالاً لتأثير الزمن في الطبيعة عند النابغة، فكما أتى فعل الدهر على هذا النسر، ودمر حياته، وأخلاه عن الوجود، كذلك أتى على الديار، وخربها، وجعلها خلاء من أهلها:

أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا
أخنى عليها الذي أخنى على لبد(147)

ويحضر عند أوس رمزاً للصداقة الكاذبة، حين تخلّى عن لقمان، وتركه يواجه مصيره المحتوم منفرداً يقول:

خـانتـك منـه ما علمـت كمـا
خـان الإخـاء خـليله لـُـبد(148)

ويتوقف لبيد بن ربيعة عند المشهد الأخير من الأسطورة، حين وقع لبد على شجرة التنظب، ولقمان أسفل منه يريد أن يطعمه اللحم، غير أن لبداً لم يستطع أن يطير في حين تطايرت النسور الأخرى، فأخذه بيديه، ورمى به ليطير، فسقط وتطاير ريشه، ثم قال له: "يا لبد صحبتني فصحبتك، وكذبتني فكذبتك"(149)، قال لبيد:

ولقد جرى لبـد فأدرك جريـه
لما رأى لبد النسور تطـايرت
من تحته لقمان يرجو نهضـة
ريب الزمان وكان غير مثقّـَل
رفع القوادم كالفقـير الأعـزل
ولقد رأى لقمان أن لا يأتلي(150)

ويوظف ذو الإصبع العدواني بطل هذه الأسطورة، وتتابع موت أنسره، ويخص بالذكر أشهرها لبدا، في إطار دفاعه عن شيخوخته وكبر سنه، حين وجه حديثه إلى امرأة أسماها زنيبة، طالباً منها ألا تهزأ من انحناء ظهره، فهذا هو فعل الدهر الذي لا مهرب منه، قال:

هـزئت زنيبة أن رأت ثَرمي
وأن انـحنى لتقـادم ظهري
لا تـهزئي منّـي زنـيب فما
في ذاك من عجب ومن سخْر
وبـقاء نسر كـلما انـقرضت
أيـامه عـادت إلـى نسـر
ما طـال من أمـد علـى لـبد
رجعت محورته إلى قصـر(151)

أما الأعشى فيأتي على تفاصيل كثيرة منها، مضيفا إليها مسحة من القص عن طريق الحوار، والتركيز على اللحظة الحرجة فيها، فيشير إلى خيارات لقمان، واختياره عمر الأنسر السبعة، وكيف تتابع عليها الهلاك، وكيف وهي لبد أعظمها، فوهى لقمان، وهلك وهلكت عاد بهلاكه، قال:

فأنت الذي سقيت عمـراً بكاسـه
ولقمان إذ خيرت لقمان في العمر
لنفسك أن تختـار سبعـة أنسـر
إذا ما مضى نسر خلفت إلى نسر
فقـال: فنسـر حين أيقـن أنـه
خلود وهل تبقى النسور مع الدهر
وهي لبد والطير يخفقـن حولـه
وقد بلغت منه المدى صحوة القدر
فقال له لقمـان إذ حـلّ ريشـه
هلكت وقد أهلكت عاداً وما تدري
وأصبح مثل الفرخ أطلق ريشـه
وبادت به عمراه في ليلة الحشر(152)

وعود على بدء، يمكن القول كما قال عبد القادر الرباعي، بأن هذه الأسطورة التي سماها حكاية، قد تكون مكوناً أساسياً من مكونات فكرة التطير الجاهلية "لأنها قرنت مصير لقمان الإنسان بمصير لبد الطائر، وأصل الحكاية حادثة دينية فردية، ربما هدفت أساساً إلى أن الإنسان غير مخلد مهما كانت السبل التي يسلكها إلى حماية نفسه، لكن معاشها في عقول الناس لأعصر طويلة أدى إلى أن يتخذ منشؤها –وهو ربط مصير الإنسان بمصير الطير- صفة الاعتقاد العام، وهكذا كان التطير عند من يخافون المجهول في العصر الجاهلي"(153).

ومما يعزز ذلك أن بعض المتنورين أخذ الوجه الآخر من مغزى هذه الأسطورة، فلم يؤمن بالتطير لأنه لا يوصله إلى الخلود، ولا يمنع عنه القدر إذا وقع، ذكر الجاحظ "أن النابغة خرج مع زبان بن سيار يريدان الغزو، فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النابغة، وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذات ألوان، فتطير وقال: غيري الذي خرج في هذا الوجه، فما رجع زبان من تلك الغزوة سالماً غانماً، قال:

تـخير طيـره فيهـا زياد
لتخبره وما فيهـا خبيـر
أقـام كأن لقمان بن عـاد
أشار له بحكمتـه مشيـر
تـعلّـم أنـه لا طيـر إلا
على متطير وهـو الثّبـور
بلى شيء يوافق بعض شيء
أحايينا وباطله كثيـر(154)

فزبان يربط التطير بأسطورة لقمان من خلال إشارته إلى ما أسماه حكمة لقمان في البيت الثاني، وكأنه أراد القول: "بأن الطير الذي لم يستطع دفع الموت عن نفسه، لا يستطيع دفعه عن غيره"(155)، وكل شيء آيل إلى الثبور والهلاك، حتى عظائم الطير وأطولها عمراً، فلا سبيل إلى تخليد الذات، والخوف من المجهول، وعلى الإنسان أن يعيش حياته دونما خوف أو وجل.

## الهوامش

(1) الرباعي، الطير في الشعر الجاهلي، ط1، ص65.
(2) الجاحظ، الحيوان، 438/3.
(3) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 399/1.
(4) سورة يس، آية18، وانظر: سورة النحل، آية 47، والأعراف، آية 130.
(5) ابن حنبل، المسند، 220/2.
(6) الرباعي: الطير في الشعر الجاهلي، ص27.
(7) عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ط1، ص191.
(8) السواح، لغز عشتار، الألوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ط6، ص149.
(9) المرجع السابقة والصفحة السابقة.
(10) الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ط1، ص53.
(11) الماجدي، الدين السومري، ط1، ص47.
(12) كريمر، أساطير العالم القديم، ط1، ص241.
(13) باقر، ملحمة جلجامش، ص122.
(14) الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ط1، ص70.
(15) سورة نوح، آية23.
(16) ابن منظور، لسان العرب، (نسر)، وانظر الحيوان 53/7، والمستطرف من كل فن مستظرف، الإبشيهي، 83/2.
(17) الهمذاني، الإكليل، 1397/2.
(18) المصدر السابق، 394/2.
(19) المصدر السابق، 402/2.
(20) عبد الحكيم، مدخل إلى دراسة الفلكلور والأساطير العربية، ص158.
(21) ابن حبيب، المحبر، تصحيح ليختن شتيتر، ص314.
(22) للسان، أبل.
(23) الشهرستاني، الملل والنحل، 228/2، وعلق صاحب اللسان على البيت الثاني بقوله: "يريد الصنم الذي كان يعبده قوم نوح". اللسان، نسر.
(24) أبو يحيى، الحية في التراث العربي، ص177.
(25) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 164/1.

(26) المصدر السابق، 165/1.

(27) المصدر السابق، 164/1.

(28) المصدر السابق والصفحة السابقة.

(29) الهمداني: الإكليل 83/8.

(30) نيلسون، التاريخ العربي القديم، ص248.

(31) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 652/1.

(32) المرجع السابق، 307/6.

(33) ابن الكلبي، الأصنام، ص11.

(34) خان، الأساطير والخرافات عند العرب، ط2، ص92.

(35) ضيف، العصر الجاهلي، ص403، وانظر: عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، 92/2.

(36) ابن كثير، البداية والنهاية، ط1، 224/2.

(37) اللسان، نسر.

(38) الميداني، مجمع الأمثال، 1961، 162/2، ويقصد بالعصرين الغداة والعشي.

(39) ديوانه، ص414+415.

(40) الأصفهاني، الأغاني، 73/19.

(41) ديوانه: قدم له وعلق على حواشيه سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، ط1، ص30.

(42) القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، د.ت، ص61، ووصفهم بقوله: ((أما النسر فهو لا أحمر اللون ولا أسود اللون، ولكنه أسود يميل إلى الحمرة شيئا يسيراً، ورؤوس أجنحته من الذهب وصدره أيضا أزرق)).

(43) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ط1، 127/2.

(44) القزويني: عجائب المخلوقات ص60.

(45) ديوانه ص31، وردت كلمة رجل في الديوان (زحل) والصحيح كما وردت في صدر البيت في الحيوان للجاحظ 222/6.

(46) الكسائي، قصص الأنبياء، ص52.

(47) الجاحظ: الحيوان، 409/6.

(48) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، 474/2.

(49) وذلك كما ذكر الدميري واستشهد بقول الشاعر:

فلا وأبي الطير المربه في الضحى على خالد لقد وقعت على لحم
(حياة الحيوان الكبرى 474/2).

(50) كما ورد في الحديث المنسوب إلى الرسول (ص): (هبط علي جبريل فقال: يا محمد، إن لكل شيء سيدا، فسيد البشر آدم، وسيد ولد آدم أنت، وسيد الروم صهيب، وسيد فارس سلمان، وسيد الحبش بلال، وسيد الشجر السدر، وسيد الطير النسر)، حياة الحيوان للدميري، 474/2.

(51) سماه سليمان عليه السلام (ملك الطير)، انظر تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن، 83/10، وذكر الدميري أنه حين مسخ بختنصر نسراً كان ملك الطير انظر حياة الحيوان الكبرى 474/2.

(52) ديوانه، ص71.

(53) ديوانه، ص72.

(54) العسكري، جمهرة الأمثال، ط1، 188/1، وانظر اللسان (نسر).

(55) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، 352/2.

(56) الإبشيهي: المستطرف من كل فن مستظرف، ص364.

(57) الرباعي، الطير في الشعر الجاهلي، ص31.

(58) الجوزو، من الأساطير العربية، ص136.

(59) القلقشندي: صبح الأعشى، 59/2.

(60) مدخل إلى دراسة الفلكلور والأساطير العربية، ص213.

(61) ديوانه، ص72.

(62) الضبي، المفضليات، ط4، ص71، والصلا: وسط الظهر.

(63) ديوانها: ص50.

(64) ديوانه: ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي، غوستاف فون غرنباوم، ص297.

(65) ديوانه: ص23+24.

(66) ديوانه: صنعه عبد العزيز الميمني، ضمن كتاب الطرائف الأدبية، ص34.

(67) ديوان الهذليين: نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، 205/2.

(68) أبو تمام، ديوان الحماسة، ص208.

(69) ديوان الهذليين 135/2.

(70) السواح، لغز عشتار، ص207.

(71) المرجع السابق ص207-209.

(72) باقر، ملحمة جلجامش، ص122.

(73) هووك، منعطف المخيلة البشرية، ط1، ص74.

(74) حمدان، أوغاريت، ط1، ص108، وانظر: هووك: منعطف المخيلة البشرية، ص74.

(75) بيتر لن: قصص من اليونان القديمة، ص15.

(76) شعره: جمع وتحقيق مطاع الطرابيشي، ص184.

(77) شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص467.

(78) ديوان المهلهل بن ربيعة، ص98.

(79) ديوانه، ط1، ص99.

(80) ديوانه، ط1، ص135.

(81) شرح ديوانه: صنعة الإمام أبي العباس ثعلب، نسخة مصورة عن طبقة دار الكتب، ص103.

(82) شرح ديوانه، ط1، ص163.

(83) الضبي: المفضليات، ص104.

(84) ديوانه، ص40.

(85) اللسان، (قشعم).

(86) شرح ديوانه، ص180.

(87) ديوانه، ص184.

(88) ابن قتيبة، كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، 284/1.

(89) القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ط1، ص182.

(90) ديوانه، ط1، ص42+43.

(91) ديوانه، ص16.

(92) شرح ديوانه، ص154.

(93) المصدر السابق، ص87.

(94) ديوانه، ص78.

(95) ابن قتيبة، المعاني الكبير 284/1

(96) ديوانه، ص36.

(97) حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة، ط1، ص189.

(98) الإبشيهي: المتسطرف من كل فن مستظرف، ص364.

(99) الإبشيهي: المستطرف من كل فن مستظرف، ص364.

(100) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، 478/2.

(101) باقر، طه: ملحمة جلجامش، ص97.

(102) حيث بنى صرحاً عالياً ببابل، ثم عمد إلى أربعة نسور رباها حتى شبت واستفحلت، ثم أخذ تابوتاً جعل له باباً في أعلاه، وآخر في أسفله، قعد فيه، ومعه غلام بيده قوس نشّاب، وربط التابوت بأرجل النسور ونصب خشبات بأطرافه علق عليها اللحم، وصعدت النسور طمعاً في اللحم، وطارت يومين حتى حالت الريح بينها وبين الطيران ففتح الباب ونظر إلى الأعلى فوجد السماء كهيئتها، والأرض سوداء مظلمة، فأمر الغلام أن يطلق سهماً في السماء فعاد السهم ملطخاً بالدم، فقال النمرود: "كفيت إله السماء" ثم أمر الغلام أن يصوب الخشبات وينكس اللحم، فهبطت النسور بالتابوت، انظر القصة في قصص الأنبياء المسمى بالعرائس، لأبي اسحق بن ابراهيم الثعلبي، ط1، ص58، وحياة الحيوان الكبرى للدميري، 475/2.

(103) هووك، الأساطير في بلاد ما بين النهرين، ط1، ص54.

(104) االإبشيهي: المستطرف من كل فن مستظرف، ص364.

(105) ديوانه، ص79.

(106) ديوان الهذليين، 177/1.

(107) الجاحظ: الحيوان، 328/6.

(108) البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع، ط3، 1308/2.

(109) ديوانه، ص191.

(110) البكري: معجم ما استعجم، 873/2.

(111) عكاشة، ثروت: الفن العراقي (سومر وبابل واشور)، ط1، ص66.

(112) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، 474/2.

(113) الجاحظ: الحيوان، 532/6.

(114) الدميري: حياة الحيوان، 477/2.

(115) المصدر السابق، 139/2.

(116) المصدر السابق، 478/2.

(117) الابشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، ص48.

(118) هووك: منعطف المخيلة البشرية، ص48.

(119) لويد، ستين: فن الشرق الأدنى القديم، ط1، ص91.

(120) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، 127/2.

(121) هووك: منعطف المخيلة البشرية، ص84.

(122) ابن منبه، وهب: التيجان في ملوك حمير، ط1، ص90.

(123) ابن منبه، وهب: التيجان ص70، وأخبار عبيد بن شرية الجرهمي، ضمن كتاب التيجان، ص356.

(124) باقر، طه: ملحمة جلجامش، ص125.

(125) المصدر السابق والصفحة السابقة.

(126) ابن منبه، وهب: التيجان، ص75.

(127) أخبار عبيد بن شريه، ضمن كتاب التيجان ص357.

(128) المصدر السابق والصفحة السابقة.

(129) المصدر السابق، ص358.

(130) المصدر السابق والصفحة السابقة.

(131) المصدر السابق، ص359.

(132) المصدر السابق، ص360.

(133) المصدر السابق، ص361.

(134) المصدر السابق، ص362.

(135) المصدر السابق والصفحة السابقة.

(136) أخبار عبيد بن شرية، ضمن كتاب التيجان، ص363.

(137) المصدر السابق والصفحة السابقة.

(138) المصدر السابق ص364.

(139) المصدر السابق والصفحة السابقة.

(140) المصدر السابق، ص365.

(141) المصدر السابق والصفحة السابقة.

(142) القيرواني، أبو علي، الحسن بن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 150/2.

(143) شرح ديوانه، ص288.

(144) ابن منبة: التيجان، ص76.

(145) ديوانه، ص13.

(146) ديوانه، ط1، ص66.

(147) ديوانه، ص16.

(148) ديوانه، ط3، ص22.

(149) ابن منبه، التيجان، ص75.

(150) ديوانه، سلسلة التراث العربي، ص274.

(151) ديوانه، ص40+41.

(152) ابن منبه، وهب: التيجان ص77، الأبيات منسوبة إلى الأعشى في التيجان، ولم أجدها في ديوانه.

(153) الطير في الشعر الجاهلي، ص108.

(154) الطير في الشعر الجاهلي، ص108.

(155) الرباعي، الطير في الشعر الجاهلي، ص108.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الإبشهي، شهاب الدين بن محمد، 1982، المستطرف من كل فن مستظرف، تحقيق عبد الله أنيس الصباغ دار القلم، بيروت.

الأحمد، سامي سعيد، 1988، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار صعب، بيروت، د.ت، نسخة عن طبعة بولاق الأصلية.

أمية بن أبي الصلت، ديوانه، قدم له وعلق على حواشيه سيف الدين الكاتب، وعصام الكاتب، 1980، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت.

أوس بن حجر، ديوانه، تحقيق محمد يوسف نجم، 1979، ط3، دار صادر، بيروت.

باقر، طه، ملحمة جلجامش، وزارة الثقافة والإعلام بغداد، 1980.

بشر بن أبي خازم الأسدي، ديوانه، تحقيق عزة حسن، 1995، ط1، دار الشروق العربي، بيروت.

البكري، عبدالله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، 1983، ط3، عالم الكتب، بيروت.

بيتر لين، قصص من اليونان القديمة، ترجمة سمير عبد الحميد د.ت، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

تأبط شراً، ديوانه، تحقيق طلال حرب، 1996، ط1، دار صادر، بيروت.

أبوتمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوان الحماسة، تحقيق عبد المنعم صالح، 1980، دار الشؤون الثقافية، بغداد،.

تميم بن أبي بن مقبل، ديوانه، دار صادر، بيروت، 1996.

الثعلبي، أبو اسحق أحمد بن إبراهيم، قصص الأنبياء، المسمى بالعرائس، المكتبة الشعبية، بيروت، د.ت.

جاد المولى، محمد، وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.

الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، 1996، دار الجيل، بيروت.

الجوزي، مصطفى، 1980، من الأساطير العربية، دار الطليعة، بيروت.

ابن حبيب، أبو جعفر، المحبر، تصحيح ليختن شتيتر، د.ت، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

حمدان، منال، وآخرون، 1997، أوغاريت، ط1، دار الأمل، اربد.

ابن حنبل، أحمد، المسند، دار صادر، بيروت، 1969.

حنون، نائل، 1978، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة، ط1، دار السلام، بغداد.

خان، عبد المعيد، 1980، الأساطير والخرافات عند العرب، ط2، دار الحداثة، بيروت.

الخنساء، ديوانها، دار كرم للطباعة والنشر، دمشق، د.ت.

أبو دؤاد الايادي، ديوانه، ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي، غوستان فون غرنباوم، ترجمة إحسان عباس وآخرين، 1959، دار مكتبة الحياة، بيروت.

دريد بن الصمة، ديوانه، تحقيق محمد خير البقاعي، 1981، دار قتيبة، دمشق.

الدميري، كمال الدين محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق أحمد حسن بسبح، 1994، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

ذو الاصبع العدواني، ديوانه، جمع وتحقيق عبد الوهاب العدواني ومحمد الدليمي، 1973، مطبعة الجمهور، الموصل.

الرباعي، عبد القادر، 1988، الطير في الشعر الجاهلي، ط1، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

زهير بن أبي سلمى، شرح ديوانه، صنعة الإمام أبي العباس ثعلب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1964.

السواح، فراس، 1996، لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ط6، دار علاء الدين، دمشق.

السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى وآخرين د.ت، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

ابن شريه، عبيد، أخبار عبيد بن شريه، ضمن كتاب التيجان في ملوك حمير، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، 1347هـ.

الشماخ، ديوانه، تحقيق صلاح الدين الهادي، 1977، دار المعارف، القاهرة.

الشنفري الأزدي، ديوانه، صنعه عبد العزيز الميمني، ضمن كتاب الطرائف الأدبية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق محمد فريد، د.ت، المطبعة التوفيقية، القاهرة.

الضبي، المفضل، المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، د.ت، ط4، دار المعارف، القاهرة.

ضرار بن الخطاب الفهري، ديوانه، جمع وتحقيق فاروق اسليم، 1996، دار صادر، بيروت.

ضيف، شوقي، 1971، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة.

طرفة بن العبد، ديوانه، تحقيق كرم البستاني د.ت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

عامر بن الطفيل، ديوانه، تحقيق كرم البستاني، 1979، دار صادر، بيروت.

العباس بن مرداس، شعره، جمع وتحقيق يحيى الجبوري، 1991، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

عبد الحكيم، شوقي، 1978، مدخل إلى دراسة الفلكلور والأساطير العربية، ط1، دار ابن خلدون، بيروت.

عجينة، محمد، 1978، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها ط1، دار ابن خلدون، بيروت.

عدي بن زيد العبادي، ديوانه، تحقيق محمد جبار المعيبد، 1965، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد.

العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال، تحقيق أحمد عبد السلام، 1988، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

عكاشة، ثروت د.ت، الفن العراقي (سومر وبابل وآشور)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة.

علي، جواد، 1980، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، بغداد.

عمرو بن معد يكرب الزبيدي، شعره، جمع وتحقيق مطاع الطرابيشي، 1974، طبعة مجمع اللغة العربية، دمشق.

عنترة بن شداد، شرح ديوانه، تحقيق عبد المنعم رؤوف شلبي، 1980، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980.

القرطبي، تفسيره، المسمى الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهره، 1967.

القزويني، زكريا بن محمد، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، المكتبة الأموية، دمشق، د.ت.

القلقشندي، أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الانشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1913.

القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة فقي محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، 1972، دار الجليل، بيروت.

القيسي، نوري حمودي، 1970، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ط1، دار الارشاد، بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين، 1988، دار الريان، القاهرة.

كريمر، صموئيل نوح، أساطير العالم القديم، ترجمة أحمد عبد الحميد يونس، 1974، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الكساني، محمد بن عبدالله، قصص الأنبياء، ط1، ايزنبرغ، ليدن، 1922.

ابن الكلبي، هشام بن محمد السائب، الأصنام، تحقيق أحمد زكي، 1924، دار الكتب، القاهرة.

لبيد بن ربيعة العامري، ديوانه، تحقيق إحسان عباس، 1962، سلسلة التراث العربي، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.

لويد، ستين، فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة محمد درويش، 1988، ط1، دار المأمون، بغداد.

الماجدي، خزعل، 2000، الدين السومري، ط1، دار الشروق، عمان.

المعيني، عبد الحميد محمود، 1982، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، جمع وتحقيق، نادي القصيم الأدبي، بريده.

ابن منبه، وهب، التيجان في ملوك حمير، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، 1347هـ.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

المهلهل بن ربيعة، ديوانه، تحقيق طلال حرب، 1996، دار صادر، بيروت.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961.

النابغة الذبياني، ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 1977، دار المعارف، القاهرة.

نيلسون، ديتاف، التاريخ العربي القديم، ترجمة حسنين علي، 1965، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة.

الهذليون، ديوان الهذليين، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.

الهمذاني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل، تحقيق محمد بن علي الأكوع، 1980، دار الحرية للطباعة، بيروت.

هووك، صموئيل هنري، الأساطير في بلاد ما بين النهرين، ترجمة داود يوسف عبد القادر، 1968، ط1، دار الجمهورية، بغداد.

منعطف الخيلة البشرية، ترجمة صبحي الحديدي، 1980، ط1، دار الحوار، اللاذقية.

# The Eagle Myth and the Search for Eternity in the Al-Jahilia Poetry

***Ihsan Deek****

## ABSTRACT

The eagle acquired the lion share in terms of Al-Jahilee (pre-Islam era) man’s attention, and was the most tied to his misgivings. That man binded the bird with the thoughts of nobleness, which elevated it out of the circle of bestiality to a point of near holiness. The research tries to unravel the reasons for making the eagle enjoy such a sanctity and the secrets behind linking it with the eternity in the mind of Al-Jahilia man. The research endeavors to find out the grounds for making it such a myth in terms of its strength, its connection with the death, its elevation and highness, its fertility and ties to life. The study takes Luqman’s story, whose landmarks fainted, and became a narrative, as an attestation for making the bird a legend, and its linkup to the imperishability.

**Keywords:** Al-Jahilee Poetry, Myth.

---

* Department of Arabic, An-Najah National University , Nablus , Palestine. Received on 17/3/2009 and Accepted for Publication on 12/9/2009.